النشاط الثقافي في العالم

اعداد : عايدة مطرجي ادريس

فرنسا

رواية « الصور الجميلة » والنقاد

* * *

ما تزال رواية سيمون دو بوفوار « الصور الجميلة » تثير اهتمام الادباء والنقاد في فرنسا . وقد نشرت مجلة « لا كينزين » في عددها الصادر في ٣١ ديسمبر دراسة طويلة بقلم مادلين شاسبال وصفت فيه رواية « الصور الجميلة » بانه كتاب تقرأه في ساعتين بنفاد صبر لاكتشاف : كم بقي بعد من الضحايا ومن هو المذنب ؟ اما المذنب ، فهو المجتمع ، لا مجتمع الرأسمالية ولكن مجتمع الاستهلاك . واما الضحايا فهم الرجال والنساء الذين يحاولون ان يعيشوا فيه عيشة حسنة ، ما دام يطلب منهم ذلك والذين يروحون ويغدون في ترفهم كأنهم اموات ــ احياء : أن الذكاء ما يزال يعيش ، ولكن الشعور هو الذي مات ، او هو لم يمت تماما ، لان الناس ليسوا مرتاحين ، ما داموا بحاجه الى مسكنات ومهدئات ، وقد يحدث لهم ايضا أن يتألموا ، ولكن ليست هي الصرخات الانسانية التي نسمعها ، وانما هي صرير شبيه بالصرير الذي تبعثه السراطين التي تتحرك في السلة ...

« انها ميكانيكية بسيطة ، تلك التي تحرك « هذه الصور الجميلة » التي تتنزه في الاحياء الجميلة ، وعلى صفحات المجلات الملونة ، وفي سيارات « الفراري » ، وبين المراكز الثانوية ومكاتب مؤسسات الدعاية او الصحافة حيث يدفع كل منهم الاخر لان يستهلك مثله اكثر فاكثر ولاجل ذلك ان يربح اكثر فاكثر بغية ان يلتهم كل شيء ، بما في ذلك قلبه . ان ما يثير في الكتاب هو الحركة ، حركة الكاتبة نفسها . شخصية حية ، متطلبة ، تريد ان تعلم ، وان تتقدم ، وتفكر بان المرء يستطيع ان يفهم وان يجد لالام هذا العالم شرحا ، شرحا واحدا ، فلا يعود هناك مجال الا ان يفعل . وهنا تظهر سيمون دو بوفوار بوجه اخر، متراجعة عما قالته ، أو أحست به ، فتقول أو تدع لورانس تقول : « لقد كنت خائبة » . لتعبر عن أنها قد خدعت ، وانها خدعت نفسها وانه لم يكن ليوجد قط شرح واحد للحياة . انها تعترف بذلك بصوت اشد خفوتا ، واشد حزنا ، عند موت امها مثلا . ونلمح خلال هذا الجهد المستمر ، المتكرر ، وفي هذه المجازفة التي تبناها في كل كتاب جديد حرص الكاتبة على آن تكتشف ، وراء الصور الجميلة والكاذبة ، صورة اخرى ، ربما كانت اقل جمالا ، ولكنها صورة اخرى اصدق : ان سيمون دوبوفوار مؤثرة وهي تؤثر بنا حقا » .

وكتب روبير كانترس في « الفيغارو ليتريز » يقول : « ان الادب النسائي في عصرنا قد حمل على عاتقه المطالبة بمنح المرأة الحق في ان تكون رجلا . واليوم بدأت تسترد حقها في آن تكون امرأة . ففي السنوات السابقة كانت تطالب بالمساواة سواء في الكتب او في الحياة ، والحق في ان تمارس جميع المهن وان تعالج جميع المواضيع . واذ اصبحت هذه الحقوق مكتسبة ضمن الحدود الممكنة ، فان القضية اصبحت تفترض ان المرأة حين تتكلم عن كل شيء كالرجل، فانها تتحدث مع ذلك بحساسية ولهجة خاصة بها . فهناك كتب قد نجحت هذه السنة وهي ذات طابع نسائي . وفي « الصور الجميلة » لسيمون دو بوفوار صورة لتلك المرأة المطالبة بحقوقها، يضاف اليها الذكاء والثقافة التي تتمتع بهما « ــ ماما، لماذا نحن موجودون ؟ والاشخاص الاشقياء ، لماذا هم يوجدون ؟ » هذا هو السؤال الذي توجهه كاترين الصغيرة ، التي ربما كانت اكثر الشخصيات اهمية . مركز الثقل في « الصور الجميلة » انها « وجودية في العاشرة من عمرها » وحول الفتاة الصغيرة القلقة لتعاسة العالم ، تتكون الرواية من تأرجحات السعادة لدى جماعة من البالغين لا يعرفون اكثر من كاترين ولكنهم فقدوا عفوية الاعتراف بذلك .

هؤلاء البالغون ينتمون الى عالم صغير مذهب ، رجال كبار ، معلنون كبار ، صحافيون مترفون او يعيشون في الترف ، وبكلمة واحدة ، عالم فرنسواز ساغان الذي لا يمكننا الا نفكر به ، اننا نرى في « الصور الجميلة » دومينيك الذكية الناجحة الباريسية جدا ، ولكن المنحدرة الى الشيخوخة ، يتركها جيلبير الفني الذي يريد ان يتزوج فتاة شابة هي في الحقيقة ابنة احدى عشيقاته السابقات ! اما لوسيل ، ابنة دومينيك ، فهي سعيدة مع زوجها جان ــ شارل ، ولكنها مع ذلك تتخذ لوسيان عشيقا . وهي تفتاظ للامبالاة التي يهجر بها جيلبير امها،ولكنها لا تدرك لحظة واحدة انها تحب لوسيان الالم نفسه حين تتركه بدورها. وتتساءل الطفلة كاترين : « لماذا نحن موجودون ؟ »

ويبدو أن سيمون دو بوفوار تجيب على ذلك بان مصيبة هذا العالم كلها تكمن في العيش في عالم من المرايا والصور . انه عالم الصور الدعائية الملونة عن الشقق ، والرحلات المشتركة ، والسيارات، والعطور والسجاير والاقمشة الجميلة ... وقد تعمم هذا العالم بفضل الاعلان والدعاية على انه صورة لكل ما هو بذخ وترف وشهوة ونظام وجمال ..

ولكن ربما كان مقال فرانسيس جانسون الذي نشرته مجلة «لونوفيل اوبسرفاتور» (تاريخ ١٤ ديسمبر الماضي) بعنوان « سجن الترف » هو اهم ما كتب عن « الصور الجميلة » . والمعروف ان جانسون قد اصدر اخيرا كتابا هاما بعنوان « سيمون دو بوفوار او مشروع الحياة » (١) ، فهو اجدر من يتحدث عن هذه الكاتبة العالمية المرموقة .

فبعد آن تحدث جانسون عن انتاج دوبوفوار الاول في الرواية ، وعن فترة « السيرة » في انتاجها ــ وهي التي اصدرت فيها « مذكرات فتاة عاقلة » و « انا وسارتر والحياة » و « قوة الاشياء » ــ قال ان صدور هذه الرواية قد فاجأه:

« منذ اقل من عام ، كانت سيمون تقول لي : اذا كتبت رواية اخرى فستكون مختلفة عن « المثقفون » . وستطرح علي مشكلات تكنيكية جديدة (طريقة السرد ، المسافة بالنسبة الى الشخصيات) ثم ان الابطال سيكونون في وضع مختلف عن وضعي » . وكانت قد عبرت في مكان اخر عن رغبتها العميقة في آن تتكلم عن شيء اخر غير ذاتها . ولكن ما ادهشني هو البساطة المتناهية التي ستضع بها المؤلفة كلية تجربتها لتصور لنا مواقف اخرى مختلفة حقا عن مواقفها الشخصية .

والواقع انه ليس في هذه الرواية الا ما هو مألوف لدينا . فالعالم الموصوف ، عالم جان ــ شارل ، زوج لورانس البطلة ، انما نسبح فيه كل يوم : هو عالم التكنيكيين الذين تحولوا الى تكنوقراطيين ، عالم « الملكات » عالم النزعة الانسانية الساذجة التي تلجأ الى التقدم العلمي في رغبتها بخلق الانسان . وايضا عالم عدم التبادل بين الرجال والنساء. وهو اخيرا العالم الذي تسود فيه « الصورة » والذي ليس فيه كل منا الا مظهر نفسه الذي يعرضه على الاخرين والذي تنزلق فيه اقسى الوقائع علينا من غير ان تمسنا وتصبح بدورها صورا بسيطة على شاشة تلفزيوناتنا . ولكن ما يدهشني في هذه الرواية التي ليس لها من نقيصة

(١) ستصدر ترجمته العربية قريبا عن دار الاداب ببيروت .

سوى انها يمكن أن تكون في متناول الجميع ، انما هي الطريقة التي نجحت فيها المؤلفة في ان تعقد جميع هذه الموضوعات فيما بينها بابرازها لخدمة موضوعات حساسة ، مطروحة في مواقف .. شخصية تماما ، ولكن هذا لا يمنعها من آن تعكس حقيقة ذات بعد اجتماعي .

يستطرد جونس الى القول :

« ذلك ان النقد الاجتماعي هنا لا يبعد المأساة قط : فجميع الشخصيات الرئيسية تظهر فيها تعقدا حقيقيا وافضل مثال على ذلك لورانس نفسها ، اي الشخصية التي هي اشد وعيا من سواها لوضعها « الصوري » ، والتي هي سجينة عالم الصور . فالعلاقات التي تقيمها مع ابيها ومع امها ومع زوجها ومع عشيقها واكثر من ذلك مع ابنتها هي علاقات حقيقية بالرغم من انه بامكاننا كذلك ان نصفها بانها علاقات مزورة من قبل الجميع . آن المعركة المشكوك فيها آلتي تخوضها لورانس هي نتاج نفل لصورة ابوية استبطنتها ولتكييف خارجي مدينة به لامها ولوسطهما . هذه المعركة التي تخوضها لورانس ضد السأم وضد فقدان الحنان وضد « برودة القلب » ، لا تملك آن تنهيها لحسابها الخاص بفتح حياة حقيقية : ذلك انها لم يعط لها ان تقارن الا قيما بورجوازية فيما بينها (البحث العدواني عن الامان من جهة امها ، والكرامة الساحرة والمخيبة لابيها المثالي) ولكن ارادتها الطيبة ستنتصر على نحو ما، وسيظل هذا الوعي حيا بما فيه الكفاية لينفصل عن تكيفه المزدوج . ولا تبلغ لورانس ان تتغلب على استلابها الخاص ، ولكنها ستنجح على الاقل في الحفاظ على الحقيقة الحرة لابنتها ضد « الصورة الجميلة » التي يجد الاخرون ، باستثنائها هي ، من الطبيعي ان يحيلوها اليها .

ويواصل فرانسيس جانسون مقاله العميق :

« ليس هذا درسا ، وليس قصة بناءة . وانما هو الصراع ونصف الاخفاق الذي تواجه امرآة بين نساء كثيرات ، امرأة لا تعتبر نفسها قادرة على ان تدين احدا ، وهي تشك بعواطفها ذاتها. وقد فقدت الحنان وهي تحلم في آن تسترده الى الابد ، وهي لا تبلغ بعد ان تعيش جذل الملامسات ، وجنون الشهوة (« تلك النار في عروقها وهذا الدوار ») : امرأة يتضح لها يوما بعد يوم ان العالم كان « في كل مكان اخر » وانه لا سبيل الى دخوله . امرأة سبق آن «صنعت » امرآة تصطدم عبثا بظلمات عدم المعرفة ونقص العلم وبهذه التفاهة التي تلحق بنا جميعا ولكن يبدو انها قد أصبحت بالنسبة اليها غير قابلة للاحتمال بمقدار ما هي امرأة وربما ايضا بمقدار ما هي أم .

ان سيمون دو بوفوار ليست اما ، وآتساءل مع ذلك هل هناك من عرف ان يصور بمثل هذا التصوير آلدقيق وبمثل هذا الانفعال الحقيقي القلق الذي يمكن لامرأة ان تعانيه حين يبدو لها ان العالم ، كما صنعناه، يوشك ان يقود ابنتها الى المصير الذي « سبق » آن كان مصيرها هي . ان لورانس تقول : « لقد تمت اللعبة بالنسبة لي » ونحن نشعر جيدا بانها لن تتم بالنسبة لسيمون دو بوفوار ما دامت تستطيع ان تضيف : « ولكن سيكون للطفلتين حظهما » .

وينهي فرانسيس جونسون مقاله الهام بقوله :

« لقد ذكرت آنفا ان القضية بالنسبة اليها ليست ، على هذا المستوى ، ان تقوم بعمل بناء . ولا شك في ان اخر عبارة في الكتاب تكفي للتدليل على ذلك : « اي حظ ، انها لا تعرف هذا ايضا » .

ايطاليا

« اريد ان احيا »

« بياباولي » امرأة جميلة اصيبت بالسرطان في الغدة الصماء ، فقضى عليها الاطباء بعدم الشفاء . ولكن المرأة لم تيأس ، واستشارت اخصائيين ، وذهبت الى لندن وقبلت آن تجرب علاجا جديدا.وحذروها: ربما ستشفين ، ولكنك ستصبحين قبيحة ، وسيسقط شعرك وسوف تتضخمين ...

ولكن بياباولي لا تتردد . وقد شفيت وسقط شعرها وتضخمت ، ثم طلب زوجها الطلاق ... ولكنها لم تتخل عن الصراع فاندفعت تناضل لاستعادة جمالها المفقود . وبعد عشر سنوات ، عادت ، كما كانت امرأة جميلة . وهي تقدم هذه الحياة المثيرة في سيرة ذاتية بعنوان : « اريد ان احيا » . وقد صدر الكتاب حديثا في روما .

المطالعة في ايطاليا

اظهر التحقيق الذي أجري في ايطاليا آن عدد الذين لا يقرأون شيئا ابدا من الايطاليين البالغين هو ٣٨ بالمئة ، وهم لا يقرأون لا كتابا ولا مجلات ولا جرائد !

وقد اجري التحقيق على ٢٠٠٠ شخص يتجاوز عمرهم الثامنةعشرة من مناطق مختلفة ومحيطات متباينة فبلغ عدد الذين يقرأون الجرائد فقط ٣٨،٣ بالمئة ، والاغلبية العظمى هي من الرجال ومن المدن الكبرى التي يتجاوز عدد سكانها ٤٠٠،٠٠٠ نسمة .

اما بالنسبة للمجلات الاسبوعية والشهرية فان المعدل يرتفع الى ٥٢ بالمئة والتفاوت في عادة القراءة بين الجنسين يخف بسبب انتشار الصحافة النسائية بنوع خاص .

ولكن ٧٨ بالمئة من الاشخاص المستجوبين لم يقرأوا اي كتاب ، لا تربوي ولا وثائقي ـ خلال الاسبوع الذي اجري فيه التحقيق . واعلى نسبة للقراء توجد بين الجماعات التي تتراوح اعمارها بين الثامنة عشرة والرابعة والثلاثين . ولكن لا شيء يدل على ان هذا الفراغ قد ملىء بالاذاعة او التلفزيون . فان ٢٥ بالمئة من الايطاليين الشباب لا يستمعون قط الى الراديو و ٥ بالمئة فقط صرحوا بانهم يشغلون الراديو او التلفزيون يوميا .

الفتاة على الرصيف

عشرة كتاب من نزعات مختلفة شاركوا في اللعبة التي اقترحها عليهم مارك سابورتا : « تخيلوا الفتاة على الرصيف المقابل » .

ابتدأ روبير اسكربيت ، الذي يدعي فقدان المخيلة لديه ، بأن عهد للالة I. B. M. في تصوير الفتاة . وفضل دانيل بولنجيه ان ينظر الى امرأة على الرصيف مرسومة بالطبشور . على أن جميع الباقين قد رأوا الفتاة ، فتاتهم ، حقيقية او على شكل ذكرى . فسباتيه مثلا تخيلها على أنه هو قاطع طريق ، وروجيه بورديه على انه هو اعمى . وهناك ثلاثة منهم تزوجوها في حين آن نوك ايستان مثلا قد خدع باحدى « فتيات الغلاف » . واثنان منهم اماتاها واثنان اخران ماتا هما نفسهما . وهنا يبدو ان الشبه بين قصتي هنري فرنسوا راي وروبير سباتيه كبير جدا .. فكلتاهما تحدثان في الخارج وفي الازقة المنحطة .

واخيرا كتب سابورتا نفسه اقصوصة لامعة . انه الوحيد الذي لم يجتز الطريق ليلقى الفتاة ، وذلك بسبب السير ، فهناك سيارات حتى في هوامش قصته ومتفرجون في الوسط ومنافسون مبثوثون بين كلماته ، بينما هو يشتهي بنهم ، وهو يمشي على « الورقة ـ الرصيف » المرأة التي لمحها على الصفحة المقابلة .

انها محاولة للادب التجريبي ، محاولة مثيرة وتكاد تكون ناجحة .